وأما جملة (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) فهي عطف على (تستجيبون) أي وتحسبون أنكم ما لبثتم في الأرض إلا قليلا . والمراد : التعجيب من هذه الحالة ولذلك جاء في بعض آيات أخرى سؤال المولى حين يبعثون عن مدة لبثهم تعجيبا من حالهم قال تعالى (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) وقال (فأماته ا مائة عام ثم بعثه قال كم لبث قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) . وهذا التعجيب تنديم للمشركين وتأييد للمؤمنين . والمراد هنا : أنهم ظنوا ظنا خاطئا وهو محل التعجيب . وأما قوله في الآية الأخرى (قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) فمعناه : أنه وإن طال فهو قليل بالنسبة لأيام ا .

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزع بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا [53]) لما أعقب ما أمر النبي A بتبليغه إلى المشركين من أقوال تعظهم وتنهنههم من قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما تقولون) وقوله (قل كونوا حجارة) وقوله (قل عسى أن يكون قريبا) ثني العنان إلى بإبلاغ المؤمنين تأديبا ينفعهم في هذا المقام على عادة القرآن في تلوين الأغراض وتقيب بعضها ببعض أضدادها استقصاء لأصناف الهدى ومختلف أساليبه ونفع مختلف الناس .

ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبئ عن ضلال اعتقاد نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالا تعرب عن حسن النية وعن نفوس زكية . وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي (يقولوا التي هي أحسن) .

و (التي هي أحسن) صفة لمحذوف يدل عليه فعل (يقولوا) . تقديره : بالتي هي أحسن . وليس المراد مقالة واحدة .

واسم التفضيل مستعمل في قوة الحسن . ونظيره قوله (جادلهم بالتي هي أحسن) أي بالمجادلات التي هي بالغة الغاية في الحسن فإن المجادلة لا تكون بكلمة واحدة .

فهذه الآية شديدة الاتصال بالتي قبلها وليست بحاجة إلى تطلب سبب لنزولها . وهذا تأديب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه . وفي الحديث الصحيح عن معاذ بن جبل : أن النبي A أمره بأعمال تدخله الجنة ثم قال له (ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول ا فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا . قال : قلت : يا رسول ا وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد

ألسنتهم) .

والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضا بحسن المعاملة وإلانة القول . لأن القول ينم عن المقاصد . بقرينة قوله (إن الشيطان ينزغ بينهم) . ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتنابا لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم . قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) . والمسلمون في مكة يومئذ طائفة قليلة وقد صرف ا عنهم ضر أعدائهم بتصاريف من لطفه ليكونوا آمنين . فأمرهم أن لا يكونوا سببا في إفساد تلك الحالة .

والمراد بقوله (لعبادي) المؤمنون كما هو المعروف من اصطلاح القرآن في هذا العنوان . وروي أن قول التي هي أحسن أن يقولوا للمشركين : يهديكم ا . يرحمكم ا . أي بالإيمان . وعن الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول ا A بالقول والفعل . فشكوا ذلك إلى رسول ا A فأنزل ا هذه الآية .

وجزم (يقولوا) على حذف لام الأمر وهو وارد كثيرا بعد الأمر بالقول . ولك أن تجعل (يقولوا) جوابا منصوبا في جواب الأمر مع حذف مفعول القول لدلالة الجواب عليه . والتقدير : قل لهم : قولوا التي هي أحسن يقولوا ذلك . فيكون كناية على أن الامتثال بأنهم فإذا أمروا امتثلوا . وقد تقدم نظيره في قوله (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) في سورة إبراهيم .

والنزغ : أصله الطعن السريع . واستعمل هنا في الإفساد السريع الأثر . وتقدم في قوله تعالى (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) في سورة يوسف .

A E